المؤسسات الإسلامية في أوروبا: الواقع والتحديات

ذ. محمد ابجطيط
أستاذ باحث بمختبر الدراسات الإسلامية وقايا المستقبل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة/ المغرب

ملخص

انصبت هذه الدراسات حول تحديد بعض ملامح الوجود الإسلامي في أوروبا، في صيغه الحالية، وقد بينت فيها انتماءات المسلمين إلى هذه القارة، وأصنافهم، وبعض الإحصائيات المقدرة لعددهم، في الوقت الحاضر والتوقعات المستقبلية، التي تتجه نحو الارتفاع، كما استعرضت فيها أهم المؤسسات الإسلامية في أوروبا، وأصنافها، وفروعها الممتدة داخل وخارج أوروبا، التي استطاعت أن تنسج شبكة ضخمة من الخدمات المتنوعة في ميادين مختلفة.

وقد ختمت هذه الدراسة بالوقوف عند أهم التحديات التي تعرقل طريق العمل المؤسساتي الإسلامي في أوروبا، وهي تحديات مختلفة، منها ما هو داخلي، ومنها ما هو خارجي آت من السياسات الغربية تجاه المسلمين. ثم انتهيت هذا البحث بخاتمة جمعت فيها أهم الاستنتاجات.

abstract

These studies focused on identifying some features of the Islamic presence in Europe in its current form. Europe, its varieties, and its branches within and outside Europe, which have been able to weave a huge network of diverse services in different fields.

This study concludes by examining the most important challenges that hinder the path of Islamic institutional work in Europe, which are various challenges, including the internal, and the external comes from Western policies towards Muslims. I then concluded this research with a conclusion in which I gathered the most important conclusions.

المؤسسات الإسلامية _التحديات _أوروبا

مقدمة

بعد طرد المسلمين من الأندلس، ونصب محاكم التفتيش لهم لمحو الوجود الإسلامي بصفة نهائية من أوروبا، جاءت الحرب العالمية الأولى والثانية في القرن الماضي، ففرضت على الأوروبيين أوضاعاً جديدة، وتحدياً كبيراً في إيجاد اليد العاملة التي ستقوم بإعادة البناء الاقتصادي الأوروبي الحديث، وبسبب الماضي الاستعماري الأوروبي للمسلمين، كانوا أبرز المرشحين للقيام بهذه المهمة، خاصة وأن سنين الاستعمار تركت آثاراً وخيمة في العالم الإسلامي، إذ بقيت البلاد الإسلامية هشة ضعيفة معزولة عن بعضها لاحول لها ولا قوة.[1] وكان هذا العامل أساساً – بالإضافة إلى أسباب أخرى - في نشوء جاليات إسلامية ضخمة في أوروبا، أصبح وجودهم الآن في تلك البلدان بعد ثلاثة أجيال من الزمن يمثل مواطنة قارة لا وجود هجرة عابرة؛ بل أصبح هذا الوجود يمثل عنصراً أساسياً من عناصر الواقع الأوروبي المعاصر يؤثر ويتأثر ويفيد ويستفيد.[2] وإزاء هذا الوضع كان من الواجب على المسلمين مواصلة الإسهام الحضاري الفاعل، الذي يتجاوز الوضع الاستهلاكي/ الهامشي إلى وضع ينتهي بهم إلى أن يكونوا في هذه المجتمعات عنصر نماء حضاري يُسهمون في تقدمه وازدهاره.

الهدف من الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أنواع العمل المؤسساتي الإسلامي في أوروبا ومجالاته الأكثر أهمية وانتشاراً، ومُجمل التحديات التي تعرقل طريقه.

الإشكالية:

إلى أي مدى يمكن أن يكون الوجود الإسلامي في أوروبا أكثر تنظيماً، يشتغل في أطار مؤسساتي محكم، ويتجاوز التحديات والمشاكل التي تعترض طريقه، وتضيق آفاقه.؟

منهجي في البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصـــفي التحليلي إذ أنني عمدت إلى جمع المعطيات التاريخية عند الوجود الإسلامي في أوروبا، والمعطيات الحالية والإحصائيات من مضانها، ثم دراستها، وتفسيرها وتحليلها...

حدود الدراسة.

انصبت هذه الدراسات حول تحديد بعض ملامح الوجود الإسلامي في أوروبا في صيغته الحالية، ونماذج من إسهاماته الحضارية في هذه المجتمعات من خلال مؤسساته المتعددة والمختلفة، وما يعرقل طريق هذه المؤسسات من التحديات والمشاكل.

خطة البحث

انتظم هذا البحث - بعد هذه المقدمة - في ثلاثة مباحث، أوردت فيها ما يلي:

المبحث الأول: خصصته لتقديم نظرة عامة عن المسلمين في أوروبا، وبينت فيه انتماءات المسلمين إلى هذه القارة، وأصنافهم، وبعض الإحصائيات المقدرة لعددهم، في الوقت الحاضر والتوقعات المستقبلية.

أما المبحث الثاني فقد استعرضت فيه أهم المؤسسات الإسلامية في أوروبا، وأصنافها، وفروعها الممتدة داخل وخارج أوروبا.

وختمت هذه البحث بمبحث أخير استعرضت من خلاله أهم التحديات التي تعرقل طريق العمل المؤسساتي الإسلامي في أوروبا، وهي تحديات مختلفة، منها ما هو داخلي نابع من بنية المنظمات والجمعيات وتركيبتها، وعدم الانسجام في ما بينها، ومنها ما هو خارجي آت من السياسات الغربية تجاه المسلمين.

ثم أنهيت هذه البحث بخاتمة جمعت فيها أهم الخلاصات والاستنتاجات.

المبحث الأول: نظرة عامة عن المسلمين في أوروبا

تتباين كثافة الســكان المســلمين في أوربا من حيث أصــولهم وانتماءاتهم لهذه القارة، فهناك النوع الأول من المســلمين من أبناء الشــعوب الأوروبية، وهم يشــكلون أكثرية مناطق ألبانيا، وكوســوفو وبلغاريا، ومقدونيا والبوسنة، وبعض المناطق الروسية في شمال القوقاز، ومنطقة نهر الفولغا التي يسيطر عليها المسلمون، بالإضافة إلى أقليات متناثرة من أبناء الشعوب الأوروبية الذين اعتنقوا الإسلام، والذين تعتبر أوروبا بالنسبة لهم وطنهم الأصلي. (3)

أما النوع الثاني من المسلمين فهم من أبناء البلاد الإسلامية المستقرين في أوروبا بصورة دائمة. وهم الذين هاجروا إليها لأسباب مختلفة كان أبرزها ارتباط أوروبا بالماضي الاستعماري للمسلمين، إذ أن أوروبا حتى

تتجاوز أزمتها في اليد العاملة، وتلبي طلبات سوق الشغل لديها أدارت وجهها مرة أخرى لدار الإسلام لتجلب منها لا المواد الأولية فقط بل اليد العاملة كذلك. [4] ومن ثم عاد المسلمون إلى هذه البلدان الأوروبية مهاجرون باحثون عن لقمة العيش، بعد أن كانوا في مرحلة سابقة غزاة فاتحون، وحصل أكثرهم على جنسية البلد الأوروبي الذي يعيش فيه، فأصبح هذا البلد وطنه الثاني وهو لا يزال يحن إلى وطنه الأول، أما أولادهم فهم جميعاً أوروبيو الجنسية. [5]

وهناك نوع ثالث من المهاجرين من البلاد الإسلامية ممن لم يحصلوا على الجنسية الأوروبية، وهؤلاء قد تكون إقامتهم دائمة أو مؤقتة، وعدد هذه النوع قليل مقارنة مع النوعين الأول والثاني، ورغم هذه القلة فإن معدلات الهجرة إلى البلدان الأوروبية ما زالت متزايدة، ولولا الهجرة المتدفقة إلى هذه البلدان الأوروبية من طرف المسلمين وغيرهم، لتوقفت أوروبا عن الوجود بعد سنوات قليلة فقط. فعلماء السكان أو الديمغرافيا يؤكدون أن أوربا بمعدلات الخصب لدى سكانها اليوم تحتاج فقط إلى سنوات قليلة لتتوقف عن الوجود بشكلها الحالي، وبالرغم من ذلك فإن عدد سكان أوروبا ليس متناقصاً بل متزايداً. [6]

وتتباين نسبة المسلمين في توزيعها بين البلدان الأوروبية الشرقية والغربية، فبسبب تَشكيل المسلمين أغلبية في بعض البلدان الأوروبية الشرقية (تركيا، أذربيجان، ألبانيا، وكوسوفو والبوسنة والهرسك، وبلغاريا، ومقدونيا..) تكون هذه المنطقة الجغرافية، أكثر احتضاناً للوجود الإسلامي من الجهة الغربية التي قد تكون فرنسا فيها أول البلدان الأوروبية استقطاباً للمسلمين، حسب ما نشره المركز الأمريكي بيو للدراسات سنة 2016م.

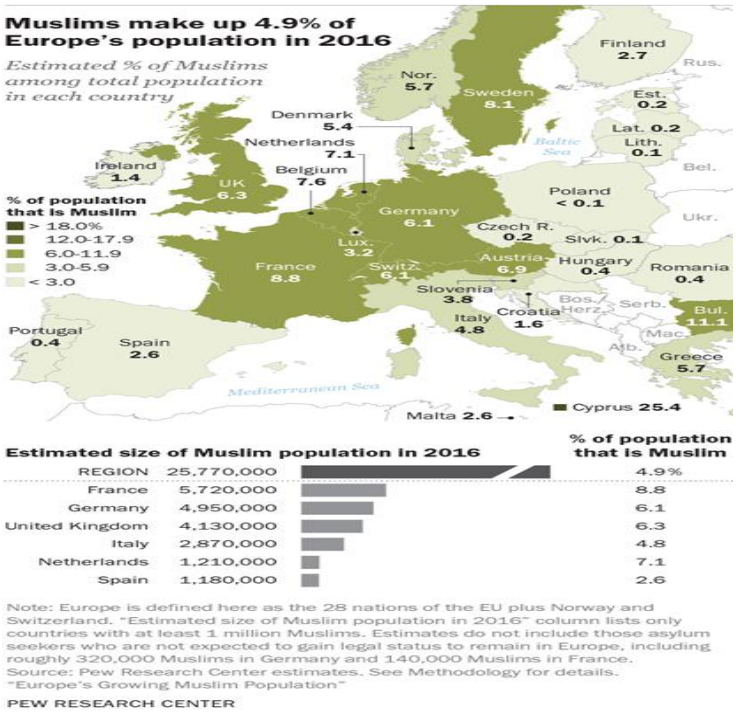

إذ تشير أرقامه الإحصائية هذه أن عدد المسلمين في فرنسا يتراوح ما بين 8 و 9%، وبعدها بلجيكا وهولاندا بنسبة تتراوح ما بين 6 و7 %، ثم سويسرا بنسبة تتراوح ما بين: 5 و 6 % والنمسا بنسبة 5 أو 6 % وألمانيا بنسبة 5 و 6 %. [7]

وتشير الإحصائيات إلى أن نسبة السكان المسلمين في فرنسا تحت سن العشرين في المدن الكبيرة، مثل باريس، ونيس، ومرسيليا تبلغ 30 % علماً أن تلك النسبة يتوقع أن ترتفع إلى 45 % بحلول العام: 2027م، ما يعني أن خمس سكان فرنسا خلال 39 سنة فقط سيكونون من المسلمين. [8]

أما في هولاندا وبلجيكا فإن 50% من المواليد الجدد هم من المسلمين، وهذا يعنى أن نصف سكان هذين البلدين سيكونون من المسلمين خلال السنوات القليلة المقبلة. وقد أفادت حكومة الاتحاد الأوروبي أن ثلث

المواليد في أوروبا سيكونون من المسلمين بحلول العام: 2025م. وكانت الحكومة الألمانية هي الأولى في التحدث عن هذا الخطر علناً (وهي التي استقبلت مليون نازح سوري بين عامي: (1915-1916) حيث أفادت رسمياً أن الهبوط الحاد في معدلات النمو السكاني في ألمانيا لا يمكن وقفه الآن بوصوله إلى مرحلة اللاعودة، وبأن ألمانيا ستصبح دولة مسلمة بحلول العام: 2050. [9]

المبحث الثاني: المؤسسات الإسلامية في أوروبا.

تتبايتن وثيرة المؤسسات الإسلامية في أوروبا من حيث العطاء والتأطير، ومن حيث التركبة والتكوين، وسأتحدث عن أهم هذه المؤسسات وأصنافها وفق التقسيم الآتي:

المطلب الأول: مؤسسات في إطار الاتحادات على مستوى القارة الأوروبية.

يعد هذا النوع من المؤسسات أكثر المؤسسات تأثيراً في المجال الاجتماعي والتربوي والعلمي لما لها من روابط وفروع تشتغل في ميادين مختلفة، مثل اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا الذي تأسست نواته الأولى في شهر مارس سنة: 1983م، وخرج من رحمها في ما بعد الفيدرالية الوطنية لمسلمي فرنسا (FMNF) والاتحاد الإسلامي التركي للشؤون الدينية (DITIB) وغيرها من الاتحادات والفيدراليات.[10]

وقد استمر حجم اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا في الازدياد ليصبح وخلال عقدين من الزمن التنظيم الإسلامي الأكثر ثقلاً في أوروبا، ويتمتع الاتحاد اليوم بقوة تنظيمية كبيرة تجعله محطة أنظار الجماعات الإسلامية المنافسة؛ حيث يحضى بإمكانيات مالية مدهشة مكنته من نسج شبكة ضخمة من الخدمات الاجتماعية والدينية في أوروبا. [11] من هذه الخدمات الاجتماعية والهيئات المشرفة عليها ما يلي:

الفرع الأول: اتحاد الطلبة المسلمين في فرنسا.

يعمل هذا الاتحاد على الدفاع عن مصالح الطلاب المسلمين القادمين إلى فرنسا من جميع أقطار العالم الاسلامي ويسهر على تقديم الرعاية لهم، كتوفير السكن الجامعي في حرم الجامعات وتوزيع المواد الغذائية بثمن زهيد... يقول صاحب كتاب فرنسا التي رأيت: " وقد شاهدت أيام كنت طالباً في (Bordaux) أن هذا الاتحاد كان نشطاً جداً، وكان يتولى توفير الغرف الجامعية للطلاب، ويضغط على المؤسسات الفرنسية المسؤولة عن السكن الجامعي لحصول الطلبة المسلمين الجدد على غرف وعلى قاعات للصلاة في الحرم الجامعي، كما أن أعضاءه ينشطون كثيراً في شهر رمضان لتنظيم إفطار جماعي للطلاب وإقامة صلاة التراويح، وبالجملة فإنهم يقومون بجهد قيم وممتاز على الأرض، ويخففون عن الطلاب الشباب الجدد الكثير من متاعب الغربة، ولولاهم لضاقت فرنسا بكثير من الطلاب المسلمين ولانحرف الكثير منهم عن أخلاق الدين. [12]

الفرع الثاني: هيئة الإغاثة الإسلامية.

تأسست هذه الهيئة من طرف الطلاب المسلمين في جامعة برمنجهام (Birmingham) عام 1984م الذين دفعتهم المجاعة في القرن الإفريقي إلى تأسيس منظمة الإغاثة الإسلامية، ثم طوروا عملهم الخيري عبر خطوات ومراحل، استطاعوا جمع المساعدات في بدايتها لمواجهة المجاعة في أفريقيا، وإحداث مشاريع الاستثمار، وصندوق الزكاة لتمكين الجهات المانحة من دفع الزكاة السنوية لمنظمة الإغاثة وفقًا للمبادئ

الإسلامية. ونظراً للجهود التي بذلها هؤلاء الطلاب في العمل الخيري الإغاثي، خطة الهيئة خطوات مهمة في إثبات جدارتها وإحراز ثقة المؤسسات العالمية بها، ومن هذه الإحرازات:

- أنه تم تسجيل الإغاثة الإسلامية سنة: 1989م تحت قانون الشركات وكذلك لدى مفوضية العمل الخيري في المملكة المتحدة.
- عُدت الإغاثة الإسلامية سنة 1994م أول منظمة إسلامية غير حكومية تحصل على تمويل من الحكومة البريطانية، حيث تلقت 180,000 استرليني لتمويل مركز التدريب المجتمعي في شمال كردفان بالسودان.
- وقعت الهيئة إطار الشراكة مع المفوضية الأوروبية للمساعدات الإنسانية سنة: 2003م وعد ذلك إقراراً بقدرة الإغاثة الإسلامية عبر العالم على تقديم المساعدات على مستوى عالٍ.
- وقعت الهيئة سنة 2006م، على اتفاقية برنامج الشراكة مع وزارة التنمية الدولية البريطانية مما يعد إعترافًا بقدرة المنظمة على إنجاز الأهداف الإنمائية للألفية.
- تم تصنيف المنظمة سنة: 2009م في مؤشر الـ 250 للأعمال الخيرية في المملكة المتحدة، مما يعكس جهود الموظفين والمتطوعين الكبيرة في السنوات الأخيرة. (13)

الفرع الثالث: إتحاد المعاهد الأوروبية للعلوم الإسلامية والإنسانية.

بعد افتتاح المعاهد الإسلامية الأولى في شاتوشينون في فرنسا (1990م) وفي بريطانيا (2000م) وفي باريس (2007م) تم التفكير بعدها في إنشاء اتحاد لهذه المعاهد كمؤسسة جامعة مختصة في مجالات التعليم والتكوين في العلوم الإسلامية والإنسانية. ومن أدوار هذه المعاهد التعليمية في المجتمع الإسلامي والأوروبي ما يلي:

- تكوين أئمة ومربين يجمعون بين تكوين شرعي عميق ومعرفة بواقع المجتمعات الأوروبية.
- تأهيل مربين ملمين بالثقافة والمعرفة الإسلامية، وبالتالي متقنين اللغة العربية، وفي نفس الوقت يجيدون الكلام والكتابة بواحدة من اللغات الأوروبية على الأقل.
- تنظيم دورات تدريبية للمشتغلين بالوعظ الراغبين في تعزيز معارفهم في الشريعة الإسلامية لأجل تحسين أدائهم ومهاراتهم.
- تنظيم موائد مستديرة ومؤتمرات تتناول الإسلام في الوسط الأوروبي، وذلك بهدف تقديم معلومات صحيحة عن الإسلام للأوروبيين.
- نشر الدراسات والبحوث الإسلامية ذات الصلة بوجود المسلمين في أوروبا.
- التعاون مع الجامعات والمؤسسات التعليمية المماثلة سواء كانت في أوروبا أو في العالم الإسلامي.
- إقامة صلات مع العلماء والباحثين الذين لهم اهتمام بقضايا الجالية الإسلامية لخدمة المعرفة الإنسانيه والإسهام في تنمية واغناء التراث الثقافي للبشرية. (14)

الفرع الرابع: المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث.

أُسس المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث في إطار اتحاد المنظمات الاسلامية، وترأسه الدكتور يوسف القرضاوي، الذي يقول عن تَقَلده لهذا المهمة وعن وظيفة المجلس: "المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث الذي شرفني الإخوة المؤسسون والأعضاء برئاسته. ووظيفته الأساسية هي تفقيه الأقليات المسلمة في أوروبا وترشيدها والإجابة عن تساؤلاتها، والعمل على إيجاد حلول لمشكلاتها الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية وقواعدها." (15)

وتحدث عن بدايات تأسيس المجلس بداية التسعينيات التي أشرف عليها الاتحاد فقال: "ومنذ عشر سنوات – يقصد في بداية التسعينيات - عقدت ندوتان في فرنسا، نظمها اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا، ودعا إليها عدداً من العلماء المهتمين بالأقليات الإسلامية ومشكلاتهم الفقهية والعلمية. وكان موضوع الندوتين محدداً في هذه المشكلات التي تواجه الأقليات التي تعيش في الغرب بصفة عامة...وقد صدر عن هذ الندوة عدد من الفتاوى والقرارات المهمة، بعد أن نوقشت مناقشة مستفيضة. وإن كان من المؤسف أنها فيما يبدو لم تنشر حتى اليوم. وهو ما بعث أيضاً المهتمين بالشؤون الإسلامية في تلك البلاد، مثل: اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا للدعوة إلى إنشاء مجلس أوروبي للإفتاء والبحوث تكون مهمته البحث والعناية ب فقه الأقليات وما تعانيه من مشكلات تحتاج إلى حلول في ضوء الشريعة الإسلامية، ومن خلال فقه إسلامي معاصر يراعي الزمان والمكان والحال.(16)

المطلب الثاني: مؤسسات قائمة في إطار التعاون والشراكة مع البلدان الأصلية.

من مؤسسات العمل الاجتماعي في أوروبا تلك التي أنشأت في أطار التعاون والشراكة بين البلدان الأصلية والدول المستقبلة، ومن أنواع هذا الصنف تلك الدروس المؤسساتية التي أحدثتها فرنسا لصالح أبناء الجالية المسلمة لأجل تعلم اللغة العربية والثقافة الأصلية، فقد وقعت عدة بلدان مغاربية، اتفاقية مع فرنسا لتعليم اللغة العربية في إطار تعليم اللغة العربية والثقافة الأصليتين (ELCO) (17)

وقد نُشر نص الاتفاق هذا في الجريدة الرسمية المغربية عدد 6090 الصادرة بتاريخ 24 ذو القعدة 1433 (11 أكتوبر 2012) الذي تضمن أربعة أبواب تفصيلية لمشروع الاتفاق، وقد استهدف تلاميذ التعليم الابتدائي، والتعليم الثانوي التقني والمهني، الذين بإمكانهم اختيار اللغة العربية كلغة أولى، ثانية أو ثالثة في حصص صباحية أو مسائية ضمن برنامج مندمج مع التوقيت الرسمي المحدد للبرامج الفرنسية. (18)

كما يفصل نص الاتفاق أيضاً في طريقة تعين المدرسين في المدارس الفرنسية، وكيف توفر الحكومة الفرنسية نفس الحماية التي توفرها للمدرسيين الفرنسيين، كما تؤمن لهم توفير التكوين المستمر والمراقبة الإدارية، والمشاركة -في حدود الإمكان- في ندوات دراسية وتدريبات ولقاءات تربوية منظمة لفائدتهم. (19)

المطلب الثالث: مؤسسات تمثيلية للمسلمين أمام السلطات الغربية لتنظيم شؤونهم.

مع تزايد عدد المسلمين في أوروبا، وتوسيع دائرة انتماءاتهم السياسية والثقافية والطائفية، بدأ يطرح مشكل التمثيل والتمويل لنشاطات هاته الجاليات من طرف السلطات الرسمية، وهو الأمر الذي يستعصى على المسلمين تحقيقه في البلدان الأوروبية، نظراً لتعدد توجهاتهم وانتماءاتهم الجغرافية والفكرية. وتستغل السلطات

الغربية هذا الوضـــع فلا تبادر بالاعتراف وإيجاد الإطارات القانونية لهذه الجاليات إلا إذا تعلق الأمر بحماية مصـالحها (مثل: قضـية الإرهاب، أو التمويل الخارجي الذي يُكون ذهنيات متطرفة...) وحتى إن بادرت لهذا الأمر فإن هذه المجالس تكون على مقاســها، وتركيبتها - كما ســيأتي ذلك في المبحث الأخير - ومن هذه الهيئات التمثيلية للمسلمين التي أحدثتها بعض البلدان الآوروبية ما يلي:

الفرع الأول: المجلس الفرنسي للديانة الفرنسية.

يعد هذا المجلس أكبر مؤسـسـة رسـمية إسـلامية في فرنسـا، يتكون من المنظمات والجمعيات الإسـلامية والمسـاجد المعترف بها قانونيا في فرنسـا، ومن بين هذه الجمعيات: اتحاد المنظمات الإسـلامية (uoif) المحسوب على تيار الإخوان المسلمين، والاتحادية الفرنسية للجمعيات الإسلامية الإفريقية، المحسوبة على المسـلمين الأفارقة، ومسـجد باريس الممول من طرف الجزائر، وتجمع مسـلمي فرنسـا (rmf) المدعوم من المغرب، وجمعيات تركية محسـوبة على الإسـلام التركي، إضـافة إلى جمعيات إسـلامية من جزر المحيط الهندي التابعة لوزارة ما وراء البحار الفرنسية مثل جزيرة مايوت (ayotte) ذات الأغلبية المسلمة.[20]

ومن أدوار هذا المجلس ومهامه: أنه يضـطلع بتسـيير شـؤون الإسـلام العامة بالتعاون مع السـلطة الفرنسـية، خاصـة فيما يتعلق بإدارة المسـاجد، وقاعات الصـلاة، وبتكوين أئمة ذوي التوجه العلماني الليبرالي، كما يهتم المجلس - نظرياً - بتسـيير المقابر المسلمة ومساعدة المسلمين في دفن موتاهم في مقابر خاصـة بهم. [21]

كما يســـير المجلس كل ما يتعلق بتجارة المواد الغذائية الحلال، ويرعى المســـالخ التي تذبح الحيوان على الطريقة الإسـلامية. وللمجلس دور كبير في اكتتاب بعض المحسـنين لتعليم السـجناء المسـلمين في السـجون الفرنسية، ولمساعدة المرضى في المستشفيات، وتلقين الموتى عند الإحتضار... وهؤلاء المكتتبون لايحصلون عادة على أي إجراء أو راتب وإنما يقومون بهذا تطوعاً. [22]

الفرع الثاني: مؤسسة الأعمال لصالح الإسلامFondation pour les muvres de Islam (FOIF)

هي مؤسسة أنشأتها فرنسا في مايو سنة 2005م، بهدف تمويل نشاطات الإسلام في فرنسا بشكل شفاف، ويتجه هذا التمويل أساساً إلى بناء المساجد وصيانتها، وإلى تكوين أئمة علمانيين على الطراز الفرنسي. ويقوم مبدأ مؤسسة (FOIF) على تجميع المحصولات المالية من قروض وهبات يقوم بها فاعلو الخير، ووضعها في حساب للمؤسسة، لتستخدم في تسيير الشؤون الخاصة بدين الإسلام. ورغم هذه الإجراءات فقد ظلت مؤسسة (FOIF) ميتة طيلة عشر سنوات، بسبب الخلافات التي تسود بين الجمعيات الإسلامية المكونة للمؤسسة، إلى أن حصلت أحداث مقتلة الجريدة المسيئة "شارلي أبدو" مطلع يناير 2015م، والتي مات فيها صحفيون كانوا يرسمون كاريكاتورات مستهزئة بالرسول الله × حينها صرح الوزير الأول الفرنسي "مانويل فالز" بأنه من اللازم حظر تمويل الإسلام الفرنسي على بعض الدول الأجنبية. بعد ذلك بأشهر كتب الوزير الأول مقالاً في صحيفة تسمى (JDD) دعا فيه إلى تأسيس ميثاق جديد مع الديانة الثانية في فرنسا، يتم هذا الميثاق عبر إنشاء مؤسسة من أجل إسلام فرنسي، ثم بدأت الدولة ممثلة في وزارة الداخلية في إنشاء المؤسسة الجديدة، وقد توسعت أهدافها من تسيير المساجد، وتنظيم بنائها، إلى تمويل بعض الرسائل

والأطروحات الجامعية ذات الصـــلة بالإســـلام، وكذا تنظيم عمليات ذبح الأضـــاحي كل عام، في المجازر المنتشرة على التراب الفرنسي. [23]

الفرع الثالث: المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا.

هو مؤسسة تمثيلية لمسلمي ألمانيا، تضم منظمات إسلامية متعددة، يرأسها الآن السيد عبد الصمد اليزيدي المغربي الأصل، ومن خلال اطلاعي على الموقع الإلكتروني للمجلس[24]والحوار الذي دار بيني وبين السيد اليزيدي مباشرة حول طبيعة المجلس، وأدواره، واهتماماته... فإن المجلس يشتغل على أمور أساسية حددها في: تمثيلية المسلمين أمام السلطات والإعلام والرأي العام. والتأطير الديني للمسلمين في القضايا المستجدة في ألمانيا، وفي الأمور التي تحتاج الى أجوبة علمية مؤسساتية عبر مجلس خاص للعلماء. ثم كذلك التنسيق بين المساجد ومختلف المؤسسات، ومحاولة توحيد كلمة المسلمين.

ومع هذه القضايا الأساسية يشتغل المجلس كذلك في بعض المجالات الاجتماعية الأخرى للمسلمين، مثل الإشراف على تدريس مادة الدين في المدارس، إذ أن الدستور الألماني يمنح الأشراف على مثل هذه الأمور للدولة وبشراكتها مع هذه المجالس الدينية التمثيلية.

كما أن للمجلس محاولات لتأســـيس مراكز تقديم الخدمات الاجتماعية، بعضـــها موجود الآن (مثل روض الأطفال، ومركز الرحمة الموجود في فرانكفورت الذي يهتم بالمرأة والفتيات والأســـرة، وبالخصـــوص النســـاء المعنفات، والمؤسسات التي تهتم بمحاربة التطرف، والعناية بالسجناء بتأطر روحي لهم، ومرافقة المرضى من خلال مؤطرين مكونين..) وبعضـــها ما زال في طور البناء (مثل: دور الشـــباب ودور العجزة وبناء المستشفيات، ومدارس خاصة) فهذه الأمور ما زالت في بداياتها الأولى، وفي طور البناء [25]

المطلب الرابع: مؤسسات تابعة للبلدان الأصلية للمهاجرين.

فكل بلد إسلامي له رعاياه داخل البلدان الأوروبية إلا ويحاول أن يحُدث بعض الإطارات التي تخدم مصالح جاليته كما يريد، لتبقى تحت رعايته وتوجيهاته، حتى وإن وجدت خارج أوطانها الإســـلامية، لذلك نجد في أوروبا جمعيات للمغاربة والجزائريين والأفارقة، والأتراك... ومن المؤسسات المغربية المحدثة في هذا المجال: نجد مؤسسة الحسن الثاني للجالية المغربية المقيمين بالخارج. ومن الأهداف المسطرة للمؤسسة كما جاء في الموقع الرسمي للمؤسسة: "ضمان استمرار العلاقات الأساسية التي تربطهم – أي الجالية المغربية المقيمة بالخارج- بوطنهم، و إلى مساعدتهم على تذليل الصعوبات التي تعترضهم بسبب اغترابهم، و يتمحور العمل الذي تقوم به المؤسسة حول مجموعة من البرامج تشمل العديد من الميادين الثقافية، القانونية، الاقتصادية والاجتماعية وتعبأ أكثر من 700 شخصا منهم 600 بالخارج.[26]

المطلب الخامس: مؤسسات مستقلة.

هي مؤســـســـات كثيرة ومتنوعة تشـــتغل في ميادين مختلفة (علمية وتربوية، وقانونية واجتماعية...) فهناك المؤسسات التعليمية الخاصة المستقلة، التي أُنشأت لغرض مواجهة التحديات التي يعيشها أبناء المسلمين في المؤســـســـات التعليمية الرسـمية، سـواء في قضـية الحجاب أو في القضـايا التي تطرح في بعض المقررات الدراسـية التي تتنافى والعقيدة أو القيم الإسـلامية، وكانت هذه المؤسـسـات الخاصـة والمسـتقلة بديلاً لهؤء

التلاميذ، تُدرَس فيها كل المواد الأدبية والعلمية المقررة في المدارس الرسمية في أوروبا، وفي الوقت نفسه تحفظ للنشأ هويتها وثقافتها الدينية بدروس اللغة العربية والتربية الإسلامية وبعض آيات القرآن الكريم.

فقد شيدت أول مؤسسة من هذا النوع في فرنسا سنة: 2001م ثم في سنة 2003م شيدت ثاني مؤسسة. وحتى سنة 2013م كانت هناك حوالي عشرون مؤسسة من هذا النوع تضم جميع الأقسام الأساسية والإعدادية والثانوية. كما فكروا أيضاً في إنشاء المؤسسات الأخرى الحرة التي تستقبل جميع الفئات العمرية، [27]

المبحث الرابع: تحديات تعرقل مسار العمل المؤسساتي في أوروبا.

هناك تحديات كثيرة تعرقل طريق المؤسسات الإسلامية في أروبا، وهي تحديات مختلفة، منها ما هو نابع من بنية الجمعيات القائمة بهذا الدور وتركيبتها، وعدم الانسجام في ما بينها، ومنها ما هو خارجي آت من السياسات الغربية تجاه المسلمين، ويمكن إجمال الحديث عن هذين المشكلين في الآتي:

المطلب الأول: التحديات الداخلية.

يكاد لا يخلوا أي لون من ألوان المؤسسات التي سبقت الإشارة إليها من مشاكل وتحديات داخلية تهدد تكوينها، وتحولها في كثير من الأحيان إلى إطارات فارغة لا طائل من ورائها، وأجمل أهم هذه التحديات في الآتي:

1. طبيعة المؤسسات التمثيلية المكونة من عدة جمعيات إسلامية متشاكسة.

إن طبيعة المؤسسات التمثيلية التي أحدثتها السلطات الغربية لصالح المسلمين مكونة من عدة جمعيات إسلامية متشاكسة أصلاً فيما بينها، فمثلا "المجلس الفرنسي للديانة الفرنسية" مكون من: "الفيدرالية الوطنية لمسلمي فرنسا"(FNMF) المحسوبة على المغرب، ومسجد باريس الكبير، وجمعياته المتفرعة منه، والمحسوبة كلها على الجزائر و"اتحاد المنظمات الإسلامية+ المحسوب على الإخوان، إضافة إلى "مجلس الديانة الإسلامية" (CFCM) الذي أسسته الدولة الفرنسية ليتكلم رسمياً باسم المسلمين في فرنسا، لذلك يسود الاضطراب داخل هذا المجلس في توحيد الرؤى، ويكون الإخفاق دائماً في الاتفاق والخروج بقرارات تخدم مصالح المسلمين في الغرب. يقول صاحب كتاب "فرنسا التي رأيت+: "وبالجملة، فقد مُني هذا المجلس بفشل ذريع في تحقيق مهامه المنوطة به، ولم يستطع أعضاؤه من جمعيات ومساجد ومنظمات إسلامية الاتفاق في ما بينهم على الطريقة المثلى لتسيير عمله والدفاع عن مصالح المسلمين، وتوحيد كلمتهم؛ وكان السبب الرئيس لهذا الفشل هو ذلك الصراع المحتدم والتنافس السخيف بين أعضائه وخصوصاً بين المغاربة والجزائريين؛ وذلك بحكم الصراع الجيو – سياسي التاريخي بين هذين البلدين+ [28]

2. كفاءة الأشخاص المسيرين للمؤسسات الاسلامية في أوروبا.

من الملاحظات المرصودة من طرف الباحثين حول كفاءة الأشخاص المسيرين للمؤسسات أن هناك من يحتكر مسؤولية تدبير هذه المؤسسات لعقود، مما يخلف جواً من التشنج والاحتقان يتحول أحياناً إلى صراع مفتوح بين فصائل وتيارات مذهبية أو عقدية أو عشائرية أو قطرية... والملاحظ أيضاً أن غالبية المسؤولين بالمساجد ينتمون إلى الجيل الأول والثاني للمهاجرين، ولهم من الغيرة على الإسلام الشيء الكثير لكن

بضاعتهم في فن التسيير والتدبير والثقافة القانونية والسياسية ضعيفة. البعض منهم لا يجيد حتى لغة البلد الذي يعيش فيه مما يجعل المسجد عرضة لفتن واضطرابات تبعده عن الدور المنوط به. [29]

المطلب الثاني: التحديات الخارجية

المقصود بالتحديات الخارجية تلك التحديات التي تأتي المسلمين من السياسات الغربية، نتيجة خوفهم من الإسلام، وقد زاد هذا الخوف تجذراً واستحكاماً في نفوسهم بعد أحداث الحدي عشر من سبتمبر، التي نتج عنها مضايقات للمسلمين بطرق مختلفة، وسَن الكثير من القوانين والتشريعات التي تؤثر على نشاطاتهم ومؤسساتهم المختلفة، يقول الدكتور أحمد جاب الله: " ثمة مضايقات تمثلت في إساءات لفظية، في رسائل تهديد وصلت إلى أفراد ومؤسسات إسلامية، في كتابات مناهضة على جذران المؤسسات الإسلامية ...ثم تمثلت بعد ذلك في وضع بعض السياسات وبعض القوانين المتعلقة بمسألة الإرهاب، والتي كان من ورائها نوع من التضييق خاصة على بعض المؤسسات الخيرية، فأصبح الإسهام المالي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عليه تضييق شديد، وتقريباً انقطع هذا الدعم سواء من المؤسسات الشعبية أو الرسمية."[30]

وقال الدكتور ياسين غضبان، المشرف على المركز الإسلامي بمدينة كاستيون (Castellón) الإسبانية في حوار خاص: "فيما يخص تفاعل المسلمين المقيمين في الدول غير الإسلامية مع قضايا الأمة، فليس لديهم سوى الاحتجاج والدعاء، حيث منعتهم الحكومات الغربية من تقديم المساعدات المالية، وأغلقت الكثير من مؤسساتهم التي كانت تدعم هذه القضايا، بل وقامت بملاحقة القائمين بجمع التبرعات المالية لمساعدة المتضررين من أبناء الشعب الفلسطيني."[31]

وأما الخوف الدائم من الإسلام والمسلمين لا تتوانى السلطات الغربية في اتهام المؤسسات الخيرية بالإرهاب، ومصادرة أموالها، وتجميد أرصدتها، كما فعلت مع بنك التقوى.

خاتمة.

بعد إتمام هذا البحث بحمد الله تعالى، وفضله، توصل الباحث من خلاله إلى الحقائق والنتائج الآتية:

1. أن الوجود الإسلامي في أوروبا، ليس وليد لحظة، أو يمثل صنفاً واحداً من المهاجرين المستوطنين كما قد يفهم البعض، وإنما يمتد لقرون عديدة، استطاع من خلالها أن يبصم بصمته الحضارية على هذا البساط من الأرض، ويقيم فيها مراكز ومؤسسات، عانت من المحو والتهميش خلال هذه القرون.
2. أن الوجود الإسلامي في أوروبا وتزايده الملفت كما تكشف الأرقام الإحصائية، أصبح يهدد كيان الأجناس المتطرفة في أوروبا، ويقلق راحتهم، لذلك كان لزاماً على المسلمين أن يأخذوا الحيطة والحذر، وأن يكونوا على وعي مما يحاك ويدبر في شأنهم من طرف هؤلاء.
3. أن مؤسسات العمل الاجتماعي في أوروبا قطعت أشواطاً مهمة في تلبية حاجات المسلمين في هذه البلدات وتقديم خدمات اجتماعية لشرائح مهمة من المجتمع الإسلامي في أوروبا.

4. أن المصالح الضيقة التي تسعى لها بعض البلدان الإسلامية في أوروبا فوتت على المسلمين مصالحة جمة، ولولاها، لما عاش المسلمون تحديات كثيرة، ولما تراجعت المؤسسات الإسلامية في أوروبا عن أدائها المنشود.

الهوامش.

أنظر: علي بن المنتصر الكتاني، المسلمون في أوروبا وأمريكا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1426هـ، جـ1، 1

المسلم مواطنا في أوروبا فيصل مولوي، من إصدارات الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين،- لجنة التأليف والترجمة، ص: 27

أنظر: فيصل مولوي، المسلم مواطنا في أوروبا، من إصدارات الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين،- لجنة التأليف والترجمة، 3

ص: 7، يوسف مرتضى، المسلمون في روسيا، الموروث وتحديات المستقبل، دار الفارابي بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 2017م، ص: 38.

يوسف القرضاوي، الأقليات المسلمة، المجلة العلمية للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، العدد الأول، ص:11، جمادى الآخرة، 1422هـ الموافق/2001م، ص: 79/78.

علي بن المنتصر الكتاني، المسلمون في أوروبا وأمريكا، جـ1، ص: 79/78، عبد الوهاب الأفندي، الانخراط السياسي 4

لمسلمي أوروبا والغرب: الفرص والتحديات، المجلة العلمية للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، العدد: 11/10، ص: 472

جمادى الأولى:1428هـ

فيصل مولوي، المسلم مواطنا في أوروبا، ، ص:5.7

يوسف مرتضى، المسلمون في روسيا، الموروث وتحديات المستقبل، ص:641

أنظر موقع مركز بيو للدراسات، على الرابط الآتي: https://www.pewforum.org/2017/11/29/europes- 7

growing-muslim-population/pf_11-29-17_muslims-update-20/

يوسف مرتضى، المسلمون في روسيا، الموروث وتحديات المستقبل، ص:842

نفسه، ص:943

أنظر: محمد عبد الله المرواني، فرنسا التي رأيت، المركز الديمقراطي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، 10

2017م، ص:383 وما بعدها.

أنظر: سمير أمغار، الإخوان المسلمون في أوروبا، ترجمة دينا محمد، مكتبة الإسكندرية، طبعة: 2012م، ص: 115

محمد عبد الله المرواني، فرنسا التي رأيت، ص: 12382

13 أنظر: موقع الإغاثة الإسلامية عبر العالم على الرابط: https://islamic-relief.me/about-us/hestory-of-ir/

14 أنظر: اتحاد المعاهد الأوروبية للعلوم الإسلامية والإنسانية، على الموقع الرسمي للمعهد على الرابط الآتي: https://uiesih.wordpress.com/

15 الأقليات المسلمة، يوسف القرضاوي، المجلة العلمية للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، العدد الأول: لجمادى الآخرة، 1422هـ الموافق/2001م ص: 7

16 نفسه، ص: 5.

17 أنظر: الاتفاقية على الرابط الآتي: enseignement langue et culture

18 الجريدة الرسمية المغربية عدد 6090 الصادرة بتاريخ 24 ذو القعدة 1433 (11 أكتوبر 2012) الظهير الشريف رقم 1.90.208 الصادر في فاتح رمضان 1432 (2أغسطس 2011) بنشر الاتفاق الموقع بباريس في 8 صفر 1404 (14 نوفمبر 1983) بين المملكة المغربية والجمهورية الفرنسية المتعلق بالتعاون في ميدان التعليم لصالح التلامذة المغاربة المقيمين بفرنسا، الباب الأول، الفصل الرابع.

19 السابق، الباب الأول، الفصل الخامس وما بعده.

20 محمد عبد الله المرواني، فرنسا التي رأيت، ص: 362

21 لكنه يصطدم بصعوبات جمة في هذا المجال نظراً لتصلب عمد البلديات المتحكمين في تسيير المقابر البلدية والذين غالباً ما يرفضون إعطاء مساحات خاصة لدفن موتى المسلمين.

22 محمد عبد الله المرواني، فرنسا التي رأيت، ص: 62.63

23 السابق، ص: 393 وما بعدها.

24 أنظر موقع المجلس على الرابط الآتي: http://www.zentralrat.de/

25 معلومات استقيتها من السيد عبد الصمد اليزيدي مباشرة عبر الحوار الذي دار بيني وبينه في يوليوز من السنة الجارية في مدينة الناظور بالمغرب.

26 أنظر: موقع مؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين في الخارج: http://www.fh2mre.ma/ar/la-fondation/la-fondation-en-bref.html

27 أنظر: محمود عوض، المؤسسات التعليمية في الغرب، قناة إقرأ الفضائية، برنامج المسلمون في الغرب، مقدم الحلقة، صلاح القادري.

28 محمد عبد الله المرواني، فرنسا التي رأيت، ص: 363.

29 يوسف نويوار، واقع وآفاق تدبير الإسلام والمساجد والجمعيات الدينية الإسلامية بفرنسا، موقع مجلس الجالية المغربية بالخارج على الرابط الآتي: https://www.ccme.org.ma/ar/maj/37787

30 أحمد جاب الله، مستقبل المسلمين في الغرب بعد أحداث سبتمبر، برنامج بلا حدود، قناة الجزيرة، تاريخ الحلقة: 10.09.2003.

31 ياسين الغضبان، حوار بعنوان: مسلمو الغرب بتفريطهم لا يمثلون الإسلام بشكل جيد وأوروبا ترتد عن النصرانية، تاريخ الحوار، 1-2-1429 هـ، موقع المسلم، على الرابط الآتي: http://almoslim.net/node/86818